المحاضرة الأولى

**الكورس الأول**

**فن الجداريات**

**المرحلة الرابعة - قسم التربية الفنية**

**اعداد: د. ندى عايد**

**فن الجداريات**

يعد الفن الجداري من اهم الفنون التي يشهدها العالم بغية التواصل، وتطرح الجداريات دائما تراث الشعوب وتاريخها وفكرها فهي تحمل رسائل سياسية واجتماعية وثقافية وجمالية.

فالجدارية تعني فن الرسوم الجدارية او النقوش الجدارية او التصوير الجداري، ويقصد به فن التصوير الذي يطبق على عناصر البناء المعماري كالجدران والأسقف والأعمدة والأقواس والأرضيات باي تقنية مستخدمة، او أي خامة تناسب الجدار وعليه فيمكن تعريف الفن الجداري هو فن الرسوم الكبيرة المنفذة على الجدران الداخلية او الخارجية وبتقنيات متعددة كتقنية الفريسكو والسيكو والموزائيك والبلاط المزجج المرسوم على الجدار، والألوان الزيتية بعد خلطها بمعاجين مختلفة والمعادن بأنواعها، والخزف والرخام والزجاج والنسيج والطباعة والخشب والكتل الإسمنتية المسلحة. وهناك من يؤلف بين مجموعة من الخامات كان يستخدم النحاس والحديد الى جانب الخشب، او لصق قصاصات من الورق على سطح القماش، وتعدى ذلك الى استخدام الاضاءة والصوت وربما الحركة.

**التصوير الجداري النشأة – والتطور**

**تاريخ التصوير الجداري:**

كانت البدايات الأولى لفن التصوير الجداري منذ الأف السنين، حينما رسم الانسان الأول قبل أن يعرف الكتابة، فصور على جدرن الكهوف وسقوفها بدافعه الفطري اعمال بطريقة مبسطة، عندما طبع كف يده على الحائط ومن المعتقد أن لهذه الطريقة في الرسم مغزى سحري، وتبع ذلك ملاحظة إنسان العصر الحجري القديم لبعض التركيبات الحجرية في كهفه حيث بدت هيأتها وأشكالها تشابه أشكال الحيوانات التي يصطادها، فاستفاد هذا الفنان الصياد بشكل جوهري من طبيعة السطوح غير المنتظمة للجدار.

إن رسم إنسان العصر الحجري القديم بتخطيطه على الصخور كان مدفوعاً برغبة منه في إعطاء وجوداً حقيقياً لهذه الرؤية وأظهرت تلك الرسوم قدرة الانسان الأول على تجسيد وتبسيط الأشكال.

وتعد الجداريات منذ عرفها الإنسان القديم عملا توثيقياً لما يمر به في حياته اليومية فقد كان يجسد كل ما يتعرض له على جدران الكهوف من مواضيع متنوعة فقد مارسه إنسان الكهوف قديما داخل كهفه بأبسط الأدوات المتاحة في ذلك الوقت، تعبيرا عما يجول في خاطره، ويشهد بذلك الكثير من الرسوم في كهوف لاسكو والتاميرا وغيرها من الأماكن. **و**نجد اولى الأشكال الرمزية التي تتمثل بطبعات الكفوف في كهوف (لاسكو) في فرنسا.

وتمكن انسان العصر الحجري من استخدام ادوات وخامات بسيطة لتنفيذ رسومه الجدارية، فقد كان يستخدم أصابع يديه بداية في تلوين رسومه بعد غمسها في معجون من الالوان المستخلصة من الطبيعة، ثم استخدم الفرشاة المصنوعة من شعر الحيوانات او من فروع الاشجار في اعمال التلوين بعد ان تطحن حتى تصبح مسحوقا، وتمزج ببعض الشحم الحيواني.

**التصوير الجداري في الحضارات القديمة:**

كان التصوير الجداري ملازماً للانسان منذ نشأته، فكان البحث عن المجهول والأسئلة عن الوجود والغيبيات، هي من الأشياء التي كشف عنها الفن وساندها وعبر عنها الانسان الأول في رسومه الجدارية.

في الفنون المصرية اعتمد الفنان على التصوير الجداري الملون، والتصوير على ورق البردي.وكان دوره تقريب الدين إلى أذهان الناس من خلال الاهتمام بتزين المعابد والمقابر والإعتناء بزخرفتها، مما خلق جواً روحانياً للمتعبد وساعده على أداء العبادات. عبر عنه الفنان وزين به جدران المقابر للمراحل المختلفة من حياة المتوفي. وكانت مواضيع الرسوم تحكي المظاهر الدينية والدنيوية، وتقديم القرابين، أو مشاهد المعارك التي تظهر انتصار الملك وفوزه بالغنائم. ولم تكن تلك الرسوم**،** بهدف الزخرفة فحسب، بل لغاية دينية بأن يجد الميت ما يأنس إليه في العالم الآخر بحسب اعتقادهم، وكانت نتيجة ذلك ان ترك كماً هائلاً من الرسوم الجدارية الملونة التي زينت الكثير من المعابد والمقابر الفرعونية القديمة وكانت مواضيع الرسوم الجدارية تحكي المظاهر الدنيوية والطقوس الدينية، ومظاهر تقديم القرابين ومشاهد المعارك وانتصار الملك وأنواع الحيوانات والطيور، إضافة إلى مشاهد الصيد وحياة الترف. إذ عبر الفنان في تلك الجداريات عن مراحل مختلفة من حياة المتوفى ومن التقاليد والعقائد.

وتأثرت الحضارة اليونانية القديمة بالحضارة المصرية، حيث استمدت مناظرها من أشكال الهيئة البشرية ومشاهد من الحياة اليومية. وإنتشرت في العصر الروماني أرضيات الفسيفساء، واختص الفنان بالصورة الشخصية وكانت ترسم داخل إطارات وسط الجدرارن الملونة بلون واحد وخالية من الزخارف ومن ثم تنوعت الاعمال وادخلت فيها الألوان المختلفة.

وظهرت في بلاد الرافدين رسومات جدارية عكست مظاهر الحياة لديهم، دينياً وٕاجتماعياً وثقافياً وعسكرياً ويبيّن ذلك ما وجد في الرسوم والنقوش التي عثر عليها في التنقيبات الأثرية والتي كانت تزين جدران المعابد والقصور. فكان لفن التصوير الجداري والنقوش الجدارية الغائرة والبارزة دوراً في التعبير عن مظاهر الحياة، فحكت الرسومات الجدارية قصص الحرب وبطولات الملوك في القنص والصيد.

**فضل الآشوريون فن الرسم الجداري بنفس تفضيل النحت البارز. فبهذين الفنين يمكنهم تغطية سطوح واسعة من جدران القصور بمآثر ملوكهم وعظمائهم.** وتشتهر رسوم الآشوريين الجدارية بانسجام وتجانس الوانها، وتشدنا مشاهد الرسوم الجدارية الآشورية أكثر الى جمال الخطوط التي نفذت بها وحداتها البشرية والحيوانية، وبالمعالجة الناجحة وربما المبالغة في توضيح عضلات اجسامها، وبالدقة المتناهية في توضيح تفاصيل نسيج الملابس وإظهار حليتها التزيينية. وبشكل عام تصور الجداريات الآشورية ثلاثة مواضيع رئيسة، هي: المشاهد الدينية التي يظهر فيها الملك بوقفات تعبدية أمام الآلهة، ومشاهد حيوانات تعبيرية رمزية، وواقعية في تصوير الانفعالات على الأشكال.

وبتتبع جماليات الرموز في الفنون، نجد أن الفن في القرون الوسطى، كان يمثل الواجهة المسيحية للوعظ والتسامي الروحي والديني، فقدمت الكاتدرائيات من خلال الصور الجدارية المرسومة والمنحوتة منظومة عقائدية تحكي بالصورة قصة حياة العالم حتى نهايته مرورا بالسيد المسيح وأمه السيدة العذراء والصالحين والقديسين ، واعتمد على الإنجيل كمنبع الموضوعات المرسومة وقد اتخذ من الرمز وسيلة للتعبير عن المفاهيم الأخلاقية، كما ظهرت التصاوير الجدارية في المسيحية المبكرة في فن المقابر الجنائزية استجابة لحاجة روحية، و تظهر المصورات التي عثر عليها في المدافن في معالجة ثلاثية تناولت: البعد الأرضي والسماوي والحياة والموت.

وفي القرن الثاني عشر ظهر اسلوب الفن القوطي الذي ترك بصمته على الكاتدرائيات الشاهقة العلو في محاولة لربط الكائن الارض بالمطلق والمتضمنة جميع انواع الفنون من رسوم جدارية وواجهات زجاجية غطيت بلوحات كانت بشفافيتها فرصة ليتحول الضوء من خلالها الى الوان متغيرة مشعة تتوزع عاكسة في الوقت نفسه في الارجاء الداخلية للكنيسة. **و**بلغ هذا الفن القمة في الكنائس القوطية التي شيدت في فرنسا ولقد شغلت اللوحات الزجاجية الملونة أكبر مساحة في جدران الكنائس القوطية. وامتد هذا الاهتمام بفن رسم وتشكيل الجداريات حتى عصر النهضة التي كانت على موعد مع تزيين الكاتدرائيات والكنائس بالتصاوير الجدارية.

وفي عصر النهضة تطور الفن الجداري، وازدهر في فلورنسا في منتصف القرن الخامس عشر، وذلك بفضل ظهور عدد من الفنانين المبدعين ولكل منهم شخصيته المستقلة وٕاسلوبه المميز حيث ظهر وبشكل كبير معالجة الصورة من ناحية الضوء والظل في الأعمال التصويرية واستخدموا الجسم البشري كعنصر أساسي، والبعد الثالث للأجسام والاشكال. ومن عباقرة عصر النهضة في عصرها الذهبي ليوناردو دافنشي ومايكل أنجلو ورافائيل. وعد مايكل أنجلو إن جسد الانسان العاري هو الموضوع الأساسي بالفن مما دفعه الى دراسة أوضاع الجسد وتحركاته ضمن البيئات المختلفة، وأغلب المواضيع التي كان يعمل بها كانت تستلزم جهداً بالغاً سواء كان لوحات جصية جدارية أو لوحات تصويرية. ومن أشهر أعماله الجدارية سقف كنيسة السيستين. إستخدم فناني عصر النهضة لتنفيذ أعمالهم تقنية الفريسكو الذي شاع إستخدامها في ذلك العصر كما إستخدموا التمبرا والألوان الزيتية والفسيفساء.

اما التصوير الجداري في العصر الإسلامي تفرد عن غيره من الفنون السابقة بتأثره بتوجهات العقيدة الإسلامية فبات الفنان المسلم يبذل أقصى جهده في زخرفة دور العبادة. ووصل إلى قمة الإبداع في زخرفة العمارة بالفسيفساء الخزفية من حيث الألوان والأشكال. ونظرا الى النهي عن تصوير الكائنات الحية فقد إتجه الفنان إلى إستخدام النقوش والزخارف الجدارية، فظهر فن الأرابيسك وأبدع في استعمال الخطوط المتداخلة وصياغتها في أشكال فنية رائعة من الزخارف النباتية، كما برع في الزخارف الهندسية وأشكالها، وكان للكتابة والخط العربي مكانه مرموقة، فقد خص الفن الإسلامي بالخط فأبدع الفنان في الزخارف الخطية واشتق عدة صور من الخط الكوفي وخط النسخ.